

المقطف

الجزء الخامس من المجلد الثلاثين

١ مايو (أيار) سنة ١٩٠٥ - الموافق ٢٦ صفر سنة ١٣٢٣

اقزام افريقية

نشرنا منذ خمس عشرة سنة مقالة موضوعها اقزام الاوائل والاواخر على اثر مجيء الرحالة ستانلي الى هذا القطر وذكره الاقزام الذين لقبهم في قلب افريقية . وذكرنا في تلك المقالة امورا لآباس باعادة نشرها الآن تمهيدا لما سنذكره من وصف هؤلاء الاقزام بعدما وصلت جماعة منهم الى القاهرة وهي

زعم المتقدمون ان في الناس جيلا قصير القامة جدا وان البيجع كانت مهاجمة وتخنن فيه والى ذلك اشار هوبيروس الشاعر اليوناني في الكتاب الثالث من الايلاذة حيث قال ما ترجمته

اذا ما الثلج غطى وجه ارض
مضى البيجع المقيم الى بلاد
وقاتل من اهلها قزاقى
وجاءت ديمة من بعد اخرى
يرى فيها بديل البرد حرا
وعوضهم من الضراء قبرا

واشار كثيرون من الكتاب القدماء الى حروب الاقزام والبيجع وصورهم على الكوروس وهم يحاربونها . اما ارسطو وهيرودوتس وبلينيوس وكتسياس وغيرهم فذكروا الاقزام ذكرا خاليا من الالبانغات الشعرية وقال ارسطو انهم يسكنون افريقية قرب مصادر النيل وقال كتسياس انهم في قلب بلاد الهند واثبت هيرودوتس ما اشار اليه ارسطو وهذه ترجمة كلامه " لقد سمعت من بعض اهالي سيريني ما ساقصه الان وهو انه حدث مرة انهم اتوا لزيارة هيكل امون ودار الحديث مع اتيرخس الملك الاثيوبي على النيل وكيف لم تزل مصادرة مجهولة فذكر اتيرخس ان نفرا من الناموتيين جاءوا بلاطه مرة ولما سئلوا عن غير المهور من ليبيا قالوا ان الناموتيين شعب ليبي يسكن السرتس وهي بلاد غير واسعة الى جهة المشرق

وانه ربي بينهم رجال وحشيون وهم اولاد بعض افروسة فلما بلغ الرجال افروضا في امور كثيرة وفي جملة ما فعلوه انهم اقرعوا على خمسة منهم ليذهبو ويرودوا قنار ليلية ويحاولوا الاينال فيها الى حيث لم يبلغ احد قبئهم فذهبوا لهذا الغرض ومعهم كثير من الماء والزاد وقطعوا المعمور اولاً ثم دخلوا القنار وارتحلوا فيها من الشرق الى الغرب . وبعد ان ساروا في الصحراء اياماً كثيرة وصلوا الى سهل نيد الشجر بالغة فدنوا منها وجعلوا يقطفون من ثمرها واذ ابرجال اقزام قد وقعوا عليهم واخذوهم اسرى وقد استطع السامويون ان يفهموا كلمة من لسانهم ولا هم من لسان السامويين . وبعد ان ساروا بهم في مروج فسيحة وصلوا الى مدينة سكانها كلهم من الاقزام وهم تزوج في الواهنم ويجانب المدينة نهر عظيم يجري من الغرب الى الشرق وفيه تماسيح " اتعي

وقد ارتاب العلماء اولاً في صحة رواية حيروودوس وزعموا انه اراد بهؤلاء الاقزام طوائف القروا اما الآن وقد ثبت وجود الاقزام في قلب افريقية فلم يبق محل للريب في روايته وقد بحث ده كاترفاج العلامة الفرنسي في هذا الموضوع بحثاً دقيقاً ونظريته كل ما يروي عن اقزام افريقية واقزام الهند واستنتج من ذلك ان الكتاب الاقدمين اشاروا في ما ذكره الى اقوام موجودين حقيقة ولم يزالوا موجودين الى يومنا هذا فعنوا باقزام افريقية الاقزام الذين اشرنا اليهم هنا وبقوام الهند جيلاً من الناس يسكن جزائر اندمان وهي سيفه خليج بنغالا بين الدرجة العاشرة والرابعة عشرة من العرض الشمالي وفي طول ٩٣ درجة شرقي غرينج . ومع قرب هذه الجزائر من بلاد الهند ووقوعها في طريق السفن الناهية الى الهند الاقصى ومع ارتياد الاوربيين كل خضراء وغبراء وتطلبهم المكاسب من كل جزيرة من جزائر المحيط لم يهتموا بامر هذه الجزائر حتى سنة ١٨٥٨ وما ذلك الا لما كانوا يجدون في الشراة في اخلاق اهاليها ولعل سبب شراة الاهالي وتفرهم من الغبراء حادث عما كانوا يلاقونه من الصينيين والملقيين الذين كانوا يصطادونهم صيد الوحوش ليستعملوهم ولما اخمد الانكليز ثورة الهنود سنة ١٨٥٨ اقبضوا على المدنيين لينفثوهم الى بلاد اخرى استولوا على هذه الجزائر وتفرهم اليها وللحال اخذ احد العلماء وهو ادورد مان سيفه البحث عن اخلاق الاهالي وطبائهم وعوائدهم وصالهم وتقاليدهم ونعتهم ولف كتاباً مسهباً في ذلك اصلح فيه خطأ الذين سبقوه من مؤلفي العرب والافرنج ويستفاد من كتابه ان اهالي هذه الجزائر تسع قبائل مختلفة يرجعون كلهم الى اصل واحد وقد قاس طول ٤٨ رجلاً و٤١ امرأة منهم فوجد متوسط طول الرجل اربع اقدام وعشر

عقد وثلاثة ارباع العقدة وتوسط طول المرأة اربع اقدام وتسع عقد وربع عقدة . وشعرهم كث مقلل ولونهم اسود ورؤوسهم مستديرة واتساقهم كبيرة ويروز فكهم غير كثير وهيئة الزوج الخاصة غير ظاهرة فيهم تمام الظهور ولكن تركيب ابدانهم مثل تركيب ابدان الزوج في نسبة عظامهم بعضها الى بعض . وكانوا يسكنون خصاصاً مبنية من اغصان الاشجار واوراقها ولم يكونوا يعرفون شيئاً من امر التلاحة ولا كان عندهم شيء من الماشية وآيتهم كلها من الخرف يعملونها بايديهم بدون دولاب ويحفظونها بالشمس او يشوونها قليلاً بالنار ولا يستعملون جلود الحيوانات وعندهم قوارب صغيرة يصنعونها من الاشجار المنقورة . وهم ماهرون في السباحة والقوس ويستعملون النار ولكنهم لا يعرفون كيفية ايراثها فيحافظون عليها لكي لا تنطفئ . ولا يعرفون شيئاً من امر المعادن فيستعيضون عنها بالاصداف والصوان ويصنعون من الباف الاشجار خيوطاً وسلالات وشباكاً وسلاحهم القوس والسهم وليس عندهم نروس ولا دروع ولا شيء من ادوات الدفاع . والارض خصبة تكثر فيها البقول والاشجار والجدور ويكثر الخنزير وغيره من الحيوانات الصغيرة فيجدون فيها وفي البحار كفافهم من الطعام . ويظنحون طعامهم وبأكله كونه سنياً . وقبل دخول الاربين بلادهم لم يكونوا يشربون الا الماء القراح . اما الآن فتعلقوا على المسكرات والرجل منهم يتزوج بامرأة واحدة يعيش معها حتى المات ويكرها غاية الاكرام ولا يعرفون اكل البشر ولا قتل الاطفال

وقد ظهر للسيود كاترفاج بعد البحث الطويل ان هذا الشعب كان منتشراً في الهند نفسها وعند ان سكان الهند الاصليين هم من هذا الشعب وقد انقرضوا من امام الجنس الآري ولم يبق منهم الا النزر القليل كما انقرضوا من بعض الجزائر وانتجوا بالجنس الملقى والمنقولي وذلك يوافق من اكثر الوجوه ما ذهب اليه ونشل العالم الاميري وفي راي الميود كاترفاج ان هؤلاء الاقوام هم اقزام اسيا الذين ذكرهم كتياس وبلينيوس وغيرهما من الاقدمين اما اقزام افريقية الذين ذكرهم هوميروس وهيرودوتس وارسطو فاول من اشار اليهم من المتأخرين اندروبتل الذي امره البرتغاليون وارسلوه الى قلب افريقية فاقام فيها ثمان عشرة سنة من سنة ١٥٨٦ الى سنة ١٦٠٤ ليلاذ . فقد قال انه رأى فيها جيلاً من الناس لا يزيد طول الواحد منهم عن طول ولد عمره اثنتا عشرة سنة ثم ذكر هذا الجيل كثير من الذين رادوا افريقية الى يومنا هذا وآخر من رآه ووصفه لقوله وقع عظيم عند العلماء الدكتور شويفرث ومياني وامين باشا . اما الدكتور شويفرث فاونزل في قلب افريقية سنة

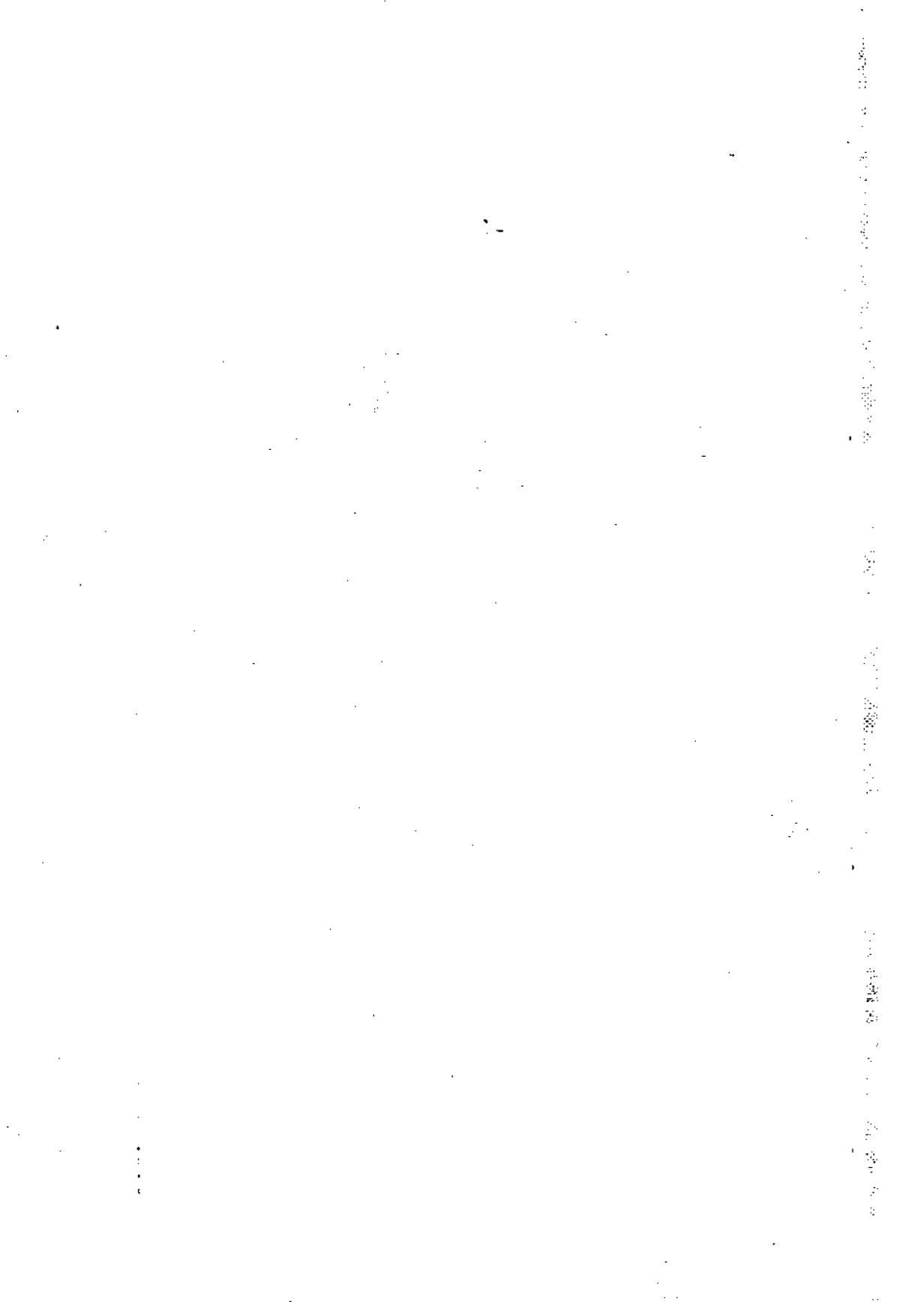
١٨٧٠ وبلغ بلاد ملك سنشو ورأى هؤلاء الاقزام في بلاطه وبلادهم الى الجنوب الغربي من بلادو حيث العرض ٣ شمالاً والنور ٢٤ شرقاً وهم داخلون في حماة وسيسنتهم من الصيد والسحيتهم القسي والسهام فاخذوا احد منهم عازباً ان يأتيه الى اوروبا مات في بربر. وحرق جميع اوراق شويتفوت لما كتبه عنهم بعدئذ اتحد فيه على ذا كرتو

اما مياني فانتفى خطوط شويتفوت الى بلاد السنشو واتى منها باثنين من هؤلاء الاقزام ومات في اثناء الطريق ووصف القزبان ان ايطاليا وعرضا على الملك والمملكة ثم اعطيا لكونت مسكشي فعاشا في ييشو ومات احدهما سنة ١٨٨٣

اما امين باشا فدخل بلاد المنبتو ورأى الاقزام فيها واخذ واحدا منهم ووصفهم وصفاً مدققاً وارسل هيكلين من عظامهم الى بلاد الانكليز بهما هيكل رجل وهيكل امرأة فتفحصهما الاستاذ فلور وقاسهما بالتدقيق فوجد طول هيكل المرأة اربع اقدام تماماً وطول هيكل الرجل اربع اقدام وربع عقدة فاذا اضيف اليها ثخن جلد الرأس وجلد القدم كان طول الرجل اربع اقدام وربع عقدة وطول المرأة اربع اقدام ونصف عقدة ويظهر من عظامها انها متناسبة تناسبها في بقية الناس الكاملين اطلاق فهي ليست مثل عظام الاقزام الذين تزعمهم عن تشوه خلقي او صناعي ولذلك فهؤلاء الناس قصار القامة صغار الجسم طبعاً

وخلاصة ما ذكره الاستاذ ده كاترفاج والاستاذ فلور والسياح الذين طافوا افريقية ان فيها قبائل على خط الاستواء منتشرين من غربيها الى شرقيها وهم صغار الجسم قصار القامة متوسط طولهم نحو اربع اقدام فقط وفي قياس امين باشا اقل من ذلك ومن المظنون ان هؤلاء الاقوام سكنوا افريقية قبل غيرهم ثم جاء الزنوج اليها ففروا من وجوههم الى ان انحصروا في قلب افريقية ولم ينزل شذومات منهم في جهات مختلفة ولا بعد انهم هم الاقزام الذي اشار اليهم هيروودوس وانهم هم واقزام المشرق من اصل واحد وان منهم اكثر الاقزام الذين كان الملوك والعظماء ياهرون بهم . انتهى

ولما وصل ستانلي الى باريس بعد مجيئه الى مصر كما تقدم قابله مكاتب جريدة الاندبنداس بلج ودار الحديث بينهما على الاقزام الذين لقيهم ستانلي في حجة ارويبي فقال " ان هؤلاء الاقزام هم الذين اشار اليهم هيروودوس المؤرخ الشهير واثبت وجودهم منذ ٢٤٠٠ سنة . وقد لقيناهم وتجبنا اليهم فانسروا بنا واحبونا كثيراً ورافقنا عدد منهم مدة اربعة اشهر ونصف وكانوا يذعنون معنا حيث ذهبنا ولا يتعربنا من تخصص اجسامهم ودروس تركيبهم وقد ثبت لنا انهم كانوا يسكنون تلك الانحاء منذ خمسين قرناً واستدلنا على قدميتهم من عرة





الاقترام الاربعة مع الكونونر هريسن على ما هو مذكور في المقالة ادالية



صورة رجس من انبيام بدم مشوية من صغرا فوتوغرافية نظار صحنه ١٢٦١

نفوسهم وانقيتهم وكرم اخلاقهم. وهم على رغم تفرقهم وانتشارهم في تلك الذلوات الشاسعة يرتبطون بنظام سياسي واجتماعي يشف عن وحدة اصلهم وتقاليدهم الشريفة ولهم ملكة جمعت بين اللطف والذكاء وهي التي كانت واسطة التقرب والاتلاف بين حملتنا وقومها في بداء اجتماعنا بهم اما لون التزم فاشبه بلون الزيتون واما اجسامهم فتتناسبة الاعضاء ولقد كانوا يأنسون بنا وينفرون من الزنجاريين الذين كانوا معنا وكثيراً ما كانوا يرشقونهم بنالمم السمومة حين كانوا يتعدون لنا . وحدث مرة انني ارسلت طليعة من الزنجاريين ليستطلعوا طلع سافة الجيش فقتلوا واحداً وعشرين منهم . قال وقد حاولت ان اجلب معي بعضاً منهم ولكنني لم اتكمن من ذلك لان هواء السهول في البلاد الحارة لا يوافق مزاجهم فلم يخرجوا مرة من حرجاتهم الرطبة الا اصابتهم الحى وماتوا على الاثر . وهكذا قضى كل الذين حاولت احضارهم معي على الطريق ولم يصل احد منهم الى الساحل . وارادت الملكة ان توافقتنا الى الولايات التي يسكنها البيض الذين كنا نحدثها عنهم فما وصلت الى خارج الغاب حتى اعياها المرض فاضطرت الى العدول عن عزمها . ثم اتني على مهارتهم وصناعتهم الفاتحة الوصف في عمل الحراب وقال انهم حاصلون على كل ما يحتاجون اليه من الادوات الحديدية . فسألته المكاتب ومن اين لهم الحديد فقال ان المعادن كثيرة في مجاري المياه الجارية في تلك الغابة ولا سيما النحاس . ثم استطرد الى مدح آدابهم وقال انهم يفوقون جميع اصالي تلك الانحاء المعتدلي القامة

وفي الحادي عشر من هذا الشهر (ابريل) وصل رحالة انكليزي اسمه الكولونل هريسن الى الخرطوم ومعه ستة من هؤلاء الاقزام فقابلته مدير مطبعتنا فيها وكتب في جريدة السودان الصادرة في ١٣ ابريل ما نصه

”عاد الكولونل هريسن الى الخرطوم قادماً من بلاد الكنغو حيث ذهب للبحث عن الاقزام في غابة الاقزام المعروفة بغاية ايتوري او غابة ستيلي وميد الحيوان النادر المسمي ” او كابي “ في تلك الغابة ايضاً وقد جلب الكولونل معه ستة من الاقزام اربعة رجال وامرأتين اعمارهم بين ١٨ سنة و ٣٤ سنة

وقد قابلنا الكولونل هريسن فأخبرنا ان هؤلاء الاقزام يقطنون ضواحي الغابة المعروفة باسمهم وهم ذوو بأس ومجنحة ويختلف طول البالغين منهم من ٣ اقدام و ٨ بوصات الى اربع اقدام وكان الشائع قبلاً ان اجسام الاقزام مكسوة بالشعر استناداً لما رواه السر هري جنسن ولكن الكولونل هريسن يقول ان معظمهم خال من الشعر في ابدانهم ما خلا الصدر والساقين . ولا يدخل الاقزام الى قلب الغابة الا اذا ارتكبوا جريمة او اقترفوا ذنباً

وهم في الغالب مسلمون وقد استقبلوا انكرويل هريس بالترحيب بعد ان انسوا اليه وقبل عودته بأسبوع هجم بعضهم على قافلة من قوافل الحكومة فقتلوا ١٧ حجلاً ووفوا الى داخل الغابة وقد ارسلت حكومة الكونغو بعض جنودها لمعاقتهم ويقطن الاقزام قرى تبعد الواحدة عن الاخرى مسافة ليست بطويلة ولكن قرية شيخ - منقل يتولى شؤنها . وبيوتهم خيام غطاءها اوراق اشجار وهي في الغالب واطنة وقد جاء الاقزام الستة مع انكرويل هريس باختيارهم ووعدهم ان يبيدوا الى اوطانهم ولكنهم يظن انهم يفضلون البقاء في انكلترا على العودة

وما وصل بهم الى مصر حتى ارسلت الحكومة الانكليزية نساء عن غرض من جلبهم الى بلادها وكانها تريد منعهم من ذلك الا اذا علمت انهم آتون برضاهم واخبارهم وان يرد انكلترا لا يضرهم . فتركهم في القاهرة وسافر الى البلاد الانكليزية . وتجد في صدر هذه المقالة صورة الرجال منهم مع انكرويل هريس . واصغرهم قداماً في عمره نحو ١٨ سنة وهو ترجمانهم لانه يعرف اللغة السواحلية فوق لغته

العقارب المصرية

طالبنا ندد المنددون بان الانكليز لم يعضدوا البحث العلمي كما عضدوا الفرنسيون ونتج احلوا مصر . وقد ردد عليهم اللورد كرومر في تقريره الاخير قائلاً ان الانكليز اهتموا بالمالجيات اولاً فاصلحوا مالية البلاد ثم التفتوا الآن الى هذه الكاليات وبين الوجوه التي عضدوا بها البحث العلمي

واما الآن تقرير مسهب من مدرسة الطب المصرية عما تم فيها من البحث العلمي في غضون السنة الماضية . ومنصفه في باب تقرير الكتب وتقتصر الآن على انتطاف بعض الحقائق من مقالة نيد عن العقارب رسمها للدكتور ولسن امثاذ الفسيولوجيا فيها قال في مقدمة هذا الفصل ان العقارب الشائعة في القطر المصري يمكن ردها الى ثلاثة انواع النوع الاول الخماسي المفاصل وهو اصغر وملي بكثير في الصعيد وهو امم العقارب المصرية . والثاني الثموني ويكثر في القاهرة وفي جوار الاسكندرية . والثالث المراكشي وهو اسود ويكثر في مريوط الى الغرب من الاسكندرية

وبعد بحث طويل استغرق وصفه ثمانين صفحة كبيرة وصل المؤلف الى النتائج التالية وهي